الفصل السادس

أعمال التنصير في العالم الثالث
(بالتطبيق على السودان) في مجال التعليم

لقد ظل العالم الثالث والسودان بصفة خاصة من أهم المناطق التي تستهدفها الكنيسة بأقسامها الكبرى أرثوذكسية وكاثوليكية وبروتستانتية وغيرها لنشر النصرانية في ربوعه. خاصة بعد أن بدأت النصرانية تظهر قلقها وعدم اطمئنانها لبقائها هناك لاعتبارات كثيرة منها:

١- ظهور حركات استقلالية في بداية القرن العشرين أثمرت استقلال غالبية دول العالم الثالث مما أفقد الكنيسة سندها الرئيسي وهو المستعمر.

٢- ظهور القوى الإسلامية بأنواعها السياسية التي تمثلت في محاولة توحيد العالم الإسلامي فيما يسمى (المؤتمر الإسلامي) وظهور بعض القوى الإسلامية التي استطاعت الوصول إلى كرسي السلطة كإيران والسودان. بجانب ظهور الكثير من الحركات الإسلامية الجهادية والتنظيمات الاقتصادية والسياسية والدعوية على مستوى العالم الإسلامي والعربي مما يهدد بقاء النصرانية هناك كما يزعمون.

٣- ظهور قوة اقتصادية إسلامية عربية تعمل على تحمل نفقات الدعوة الإسلامية في أفريقيا وفي جميع أنحاء العالم. مما أوجد منافسة شديدة للتبشير بعد أن كان الميدان يكاد يكون خالياً له. خاصة في دول العالم الثالث.

٤- ظهور قوى عسكرية لها وزنها الدولي في المحيط العسكري ذات سيادة عربية

وإسلامية إذ أن هذه القوى تطل على الممرات المائية الحيوية مثل خليج السويس والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب. الشيء الذي يهدد مصالح الكنيسة التبشيرية والاقتصادية في المنطقة العربية.

٥- ظهور قوى فكرية إلحادية عسكرية في أفريقيا والعالم العربي هي القوى الاشتراكية التي كانت سائدة في اليمن والحبشة تمكنت من بث أفكارها في الساحل الأفريقي الشمالي والشرقي والغربي الشيء الذي جعل التبشير المسيحي يعجل بأن يركز على الدول المطلة على الساحل الشرقي قاصداً بذلك أن يحقق لنفسه قواعد ارتكاز أمينة تحصنه من خطر المد السوفيتي[١].

٦- أما في السودان فقد كان رأيهم أنه دولة مسيحية سابقة أخذها منهم المسلمون لذا يجب أن تعود كما كانت. وذلك لأهمية السودان من ناحية أنه جسر يربط الشمال الأفريقي والجنوب، ويشكل معبرا للثقافة الإسلامية والعربية إلى قلب وجنوب وغرب أفريقيا. بجانب أن منطقة جنوب السودان تعتبر من المناطق البكر لنشر الديانة المسيحية لأن الكثير من شعوبها وقبائلها باقية على الوثنية أو اعتنقت الإسلام لكنها لا تتعرف عليه بالصورة المطلوبة كما هو الحال في جبال النوبة ومناطق الأنقسنا. وهؤلاء يمكن استمالتهم عن طريق المغريات الأخرى واستغلال المساعدات والمجالات الحيوية.

وهناك سبب أهم هو أن المناطق الحدودية للسودان الشرقية والجنوبية تعج باللاجئين الذين فروا إليها من مناطق النزوح في دولهم مثل أثيوبيا وأريتريا ويوغندا بجانب معسكرات اللاجئين السودانيين الجنوبيين في يوغندا وكينيا والكونغو لذا يجب الوصول إليهم عبر المساعدات الإنسانية والإغاثة التي تعتبر من أهم الوسائل التنصيرية التي تستغلها المنظمات الكنيسية. ونتيجة لهذه الأسباب الرئيسية الواضحة وغيرها من الأسباب الخفية كان على الكنيسة أن تضع إستراتيجية واضحة تقوم بتنفيذها بعد تحديد أهدافها بطريقة دقيقة ولإنجاح هذا

(١) عبد الجليل ريفا، التنصير في أفريقيا، ص١٩

المخطط لابد من دعمه من كبريات المؤسسات العالمية التبشيرية الفاعلة لذا نجد أنه بعد أن حدد المنصرون أهدافهم ووسائلهم تحديداً دقيقاً بعد تمحيص ودراسة للمناطق التي يستهدفونها بالتنصير. بدأت المؤتمرات والورش والسمنارات لتحديد أنجح الوسائل والأساليب التي تساعدهم على إنجاح حملتهم التنصيرية.

أ- المؤتمرات:

يعقد المنصرون من وقت لآخر المؤتمرات لمراجعة أعمالهم وتقييم هذه الأعمال ووضع الخطط التي من شأنها النصرانية بين الشعوب المستهدفة تقدم في هذه المؤتمرات البحوث والمحاضرات وتخرج هذه المؤتمرات بتوصيات حتى تكون محل التنفيذ.

وكذلك يكون لهذه المؤتمرات نتائج استعرض صاحب كتاب أجنحة المكر الثلاثة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني وهو عالم خبير بالغربيين من منصرين ومستشرقين وإستعماريين. استعرض عدد من المؤتمرات وهي:

١- المؤتمر التبشيري الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٠٦م.
٢- مؤتمر (أدنبرج) التبشيري.
٣- مؤتمر (لكنو) التبشيري.
٤- مؤتمر القدس التبشيري.
٥- المبشرون والمؤتمر الإستعماري الألماني.

ما تقدم نماذج لمؤتمرات المنصرين نستعرض باختصار المؤتمر التبشيري الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٠٦م وهو نموذج لمؤتمرات التنصير كان زويمر رئيس إرسالية التبشير وهو أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير (البروتستانية) للتفكير في مسألة التبشير بين المسلمين. بعد تفكير ومداولات استقر الرأي أن يعقد المؤتمر في القاهرة بدل الهند التي اعتاد المنصرون أن يعقدوا فيها المؤتمرات. وتم الإعداد لهذا المؤتمر في أبريل سنة ١٩٠٦م وحضر هذا المؤتمر ممثلون عن إرساليات التبشير الأمريكية والإنجليزية والأسكندرية والألمانية والهولندية والسويدية ومن إرسالية التبشير الدنماركية الموجودة في بلاد

العرب. وانتخب زويمر رئيساً لهذا المؤتمر وهذا وصف لأعمال المؤتمر:

١- ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم.
٢- الإسلام في أفريقيا.
٣- الإسلام في السلطنة العثمانية.
٤- الإسلام في الهند.
٥- الإسلام في فارس.
٦- الإسلام في الملايو.
٧- الإسلام في الصين.
٨- النشرات التي ينبغي أن تذاع بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام.
٩- الارتداد.
١٠- وسائل إسعاف الذين يضطهدون بسبب تركهم الإسلام.
١١- شئون نسائية إسلامية.
١٢- موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعليم في الإسلام.

ومن البحوث التفصيلية التي دارت في المؤتمر الصعوبات التي تحول دون تبشير المسلمين العوام ووجه المؤتمرون أن تستخدم معهم الوسائل الآتية:

١- استعمال الفرق والموسيقى التي يميل لها الشرقيون.
٢- عرض المناظر السينمائية.
٣- تأسيس الإرساليات الطبية التي يجب أن تنبث بينهم.
٤- ضرورة تعلم المبشرين لهجات المسلمين العامية واصطلاحاتها نظرياً وعلمياً وضرورة دراستهم القرآن حتى يقفوا على ما تحتويه.
٥- أن يخاطب المبشرون عوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم.
٦- يلقي المبشر خطابه بصوت مؤثر وأن يخطب وهو جالس وأن يكون بصيراً بآيات القرآن والإنجيل عارفاً بمحل المناقشة وألا يميل إلى المنطق.
٧- ضرورة أن يكون المبشر خبيراً بالنفس البشرية.

وناقش المؤتمر الصعوبات التي يجدها المبشرون وسط المسلمين خاصة المتنورين منهم. واقترح المؤتمر مدرسة تشترك فيها كل الكنائس تقام لمنافسة الأزهر

وتراجع المؤلفات التي قدم عليها العهد وذلك لإصلاحها حتى تستخدم في تبشير المسلمين المتنورين لاسيما خريجي الجامعات الغربية وقد لاحظ المبشرون عدم إقبال الشباب المصري على الكنيسة ولذلك غيروا خطابهم من المواضيع الدينية إلى المواضيع التاريخية وحرروا مجلات وكتب وذكروا بعد ثلاث سنوات حصلوا على نتائج. وتطرق المؤتمر إلى نشاط الإرساليات الطبية. حيث قدم العديد من الأطباء ملاحظاتهم حول الإرساليات الطبية ودروها في التبشير.

مؤتمر القاهرة نموذج للمؤتمرات التي عقدت في العالم العربي وفي أفريقيا[١] وقد عقد في آسيا مؤتمر لكنو التبشيري.

تم انعقاد هذا المؤتمر في سنة ١٩١١م في الهند تداول المؤتمرون أموراً كثيرة تعتني بالعالم الإسلامي وكيفية أحكام الخنق عليه وتفكيك أواصر وحدة المسلمين. وتكلم أحد المبشرين عن فكرة الجامعة الإسلامية وذكر أن فكرة الجامعة الإسلامية لم تقم لأن التربية غير الإسلامية سرت بين الشعوب الإسلامية بواسطة مدارس التبشير. وكانت للمبشرين أقوال في هذا المؤتمر إذ قال أحدهم ينبغي على جماعات التبشير أن تحتك بالمسلمين ويطرقوا أبواب الطب والصناعة وكل ا لأعمال التي يتفوق فيها الأوروبي على الشرقي.

وكان لهذا المؤتمر قرارات في جلساته كما يلي:

١- يعقد المؤتمر مرة أخرى في القاهرة سنة ١٩١٦م وإذا لم توافق الأجواء يعقد في لندن.
٢- ضرورة حصر الجهود التي تبذل في أفريقيا.
٣- لابد من تأسيس مدرسة في مصر تعمل في مجال التبشير وأن يختار لها المبشرين الأكفاء.

ظل المبشرون يعقدون هذه المؤتمرات باستمرار منذ بداية الحركة التنصيرية ومؤتمراتهم مستمرة إلى الآن تعقد في أنحاء القارات المستهدفة بالتنصير وما تقدم

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها - التبشير الاستشراق - الإستعمار، الطبعة الثانية (بيروت: دار القلم: ١٩٩٨م) ص٣٢ وما بعدها

نماذج للمؤتمرات التي عقدت توضح كيف كان لهذه الحركة نشاط دؤوب وهجوم شرس على الإسلام والمسلمين.

وفي العصر الحديث كان مؤتمر كولورادو التنصيري. وهو أخطر المؤتمرات التي عقدها المنصرون. عقد في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصر المسلمين) حضره ١٥٠ مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم واستمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق وانتهى بوضع إستراتيجية بقيت سرية لخطورتها مع وضع ميزانية لهذه الخطة مقدارها ١٠٠٠ مليون دولار وقد تم جمع هذا المبلغ فعلاً وتم إيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى.

إن المؤتمرين الذين التقوا في كولورادو هم من كبار العاملين في حقل التنصير وإن معظمهم من أصحاب الاختصاصات العلمية العالية وبخاصة في العلوم الإنسانية وإن هؤلاء قد عكسوا كل خبراتهم التنصيرية وكل خبراتهم العلمية في أبحاثهم التي قدموا فيها عصارة مهمة لهذا المؤتمر الذي أعد خصيصاً لمناقشة السبل الكفيلة بتنصير المسلمين في العالم أجمع.

لقد كانت هذه أول مرة يجتمع فيها هذا العدد الكبير الذي يمثل مختلف الدوائر والهيئات والمناصب التنصيرية في العالم والتي يجمعها هدف واحد هو (كيف السبيل لتنصير المسلمين أينما كانوا).

إن هذا المؤتمر قد انتهى بعد أن شحن المنصرين بضرورة العمل على تنصير الـ (٧٢٠) مليوناً من المسلمين، ولقد كان عدد الذين وفدوا إلى هذا المؤتمر هم من أبرز قادة التنصير في العالم وقد وفدوا من شتى أنحاء المعمورة ليمثلوا العديد من الشعوب والتقاليد الكنسية المختلفة والتجارب الواسعة. ولقد قدموا ٤٠ موضوعاً كل موضوع منها من الأهمية بمكان[١].

من الطرح المتقدم في مؤتمرات التنصير يتضح للقارئ أن المنصرين يعملون بشتى الطرق والوسائل لتنفيذ مخططاتهم في العالم العربي الإسلامي (الذي

---

(١) عبد الرزاق ديار بكر لي تنصير المسلمين/ بحث في أخطر إستراتيجية طرحها مؤتمر كلورادو التنصيري الطبعة الأولى (-، -، ١٩٨٩م) ص١٢-١٣-١٤-١٥.

يصنف من دول العالم الثالث) وبقية دول العالم الثالث ويمكننا أن نتبين وسائلهم في العالم الثالث تنقسم إلى قسمين:

١- وسائل مباشرة. ٢- وسائل غير مباشرة[١].

١ـ الوسائل المباشرة:

وهي كثيرة وخطيرة وهي مجال التحدي المباشر للإسلام وذلك عن طريق المناظرة لعلماء المسلمين، ويقوم بهذا النوع من التنصير منصرون متفرغون تم ترسيمهم وعاظاً لنشر النصرانية. وقد أهل هذا النوع منذ فترة طويلة - حلت محله - وسائل لا تلتزم غالباً بالمنهج الأخلاقي وذلك لأن نتائج المناظرات تكون في أغلب الأحيان عكسية. وقد حاولوا هذه الطريقة في السنين الأخيرة كانت هناك مناظرات انتصر فيها علماء الإسلام كمناظرات أحمد ديدات مع القس جيمس سقارت، ومناظرات الشيخ الزنداني والعلماء النصارى في مجال الإعجاز العلمي للقرآن والسنة ومؤتمرات الحوار الديني. لكنها كانت بالنسبة لهم عكسية إذ أسلم بعض القساوسة والعلماء النصارى.

٢- وسائل غير مباشرة:

وقد أدت هذه الوسائل إلى نتائج: هذه الوسائل عرفت في القرن الثالث عشر ثم تطورت بعد الحرب العالمية الأولى في القرن العشرين[٢].

ومن أهم الوسائل غير المباشرة:

١ـ الطب:

يعتبر مجال الصحة والطب بوجه خاص أهم المجالات التي سخرها المنصرون لتنفيذ أهدافهم وغاياتهم، حيث تجد مبشرا تجد آلاماً وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى طبيب وحيث تكون الحاجة إلى طبيب فهناك فرصة مناسبة

(١) عبد العزيز إبراهيم/ التنصير في الخليج العربي ص٣٠.

(٢) عبد العزيز إبراهيم/ التنصير في الخليج العربي، ص٣٠-٣١.

للتبشير، ولهم أقوال في مسألة ربط التنصير بالطب على لسان المبشرين وقد انتهزوا هذه الفرصة حتى يصلوا إلى أهدافهم يقول أل شاتليه (إنه في مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦م تحدث المؤتمرون عن أهمية إرساليات التنصير الطبية وقال المستر هاربر (يجب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر من المبشرين الآخرين[١].

ونجد أن المنصرين قد استغلوا غفلة المسلمين وقاموا بإنشاء مؤسسات طبية تنصيرية تدر عليهم المال الوفير الذي يأتي إليهم من جيوب المسلمين الغافلين الذين يأتون ليتعالجوا عندهم. ويحاولوا أن ينشروا إشاعاتهم بواسطة أعوانهم أن الطبيب النصراني أجود من الطبيب المسلم وأن الخدمات في مستشفيات النصارى أجود من المستشفيات الوطنية. مما أدى إلى أن ينجذب إليهم الكثير من المسلمين المقتدرين الباحثين عن الخدمة الممتازة أو المتفاخرين بين الناس بذلك ولعل أقرب مثال لذلك مستشفى (الراهبات للتوليد) في قلب الخرطوم بالقرب من مطبعة التمدن وغرب السوق العربي.

مع العلم أن مستشفى أم درمان الحالي قامت ببنائه الكنيسة البريطانية كمستشفى تنصيري عام ١٩٢١م.

لهذا يجب أن نعلم أن الخدمات الصحية التي تقدمها الإرساليات ما هي إلا واجهات للتنصير محددة الأهداف والوسائل.

٢ـ التعليم:

رغم أن التعليم لم يكن وسيلة من وسائل نشر النصرانية في الزمن المبكر، بل كان ينظر إليه أنه يتعارض مع الهدف الرئيسي الذي أنشأت الإرساليات وهو التبشير، وقد تغيرت هذه النظرة عندما أثبتت التجارب أن التعليم أفضل الوسائل لنشر النصرانية في القرن الثالث عشر[٢] بهذا نجد أنه صار أفضل طرق التنصير غير المباشر حيث أنه أصبح أقوى المؤثرات الفكرية على الإطلاق.

---

(١) أل شاتليه/ الغارة على العالم الإسلامي/ مرجع سابق ص٦٢-٦٣.

(٢) إبراهيم عكاشة/ ملامح النشاط التبشيري/ مرجع سابق ص٢٩.

قال المبشر (ماكدونالد) ليس ثمة وسيلة للتأثير على المواطنين أفضل من جمع أبنائهم في حجرات الدراسة[١].

من خطط المنصرين أن تعليم الشعوب القراءة والكتابة يساعد المنصر على التغلب على المشكلات الرئيسية التي عادة ما تواجهه كالتعصب الذي هو سمة الأميين[٢].

لهذا كانت المدارس تسعى لإدخال الإنجيل إلى مناطق كثيرة لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل أو المبشر عن طريق آخر[٣].

لقد اهتم المبشرون بأن تكون هناك مدارس حتى يستطيع المبشر ليتصل بالناس ويدعوهم إلى مذهبه لذا قال اليسوعيون (إن المبشر الأول هو المدرسة)[٤].

ويرى بعض المنصرين أن المدارس قوة لجعل الناشئة تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى[٥].

٣ـ الخدمات والمساعدات الإنسانية:

العوز والفقر والحاجة تعتبر من أهم المؤثرات التي تدفع النصارى لاستهداف المنطقة المعينة والمقصودة بالتبشير والتنصير لذا نجدهم لا يهدأ لهم بال إن كان الجو هادئاً من المشاكل. فلابد من هزة في المجتمع المستهدف بالتبشير (التنصير) حتى يتثنى لهم إيجاد ثغرة يدخلون بها عليه لذا يقول المبشر (زويمر) لابد من وجود أزمات معينة أو مشكلات وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن[٦].

ولعل ما تمر به المنطقة الأفريقية والسودانية بصورة خاصة يدل دلالة قوية

---

(١) عمرو فروخ/ التبشير والإستعمار في البلاد العربية/ مرجع سابق ص٢٩.
(٢) إبراهيم عكاشة/ التبشير النصراني في جنوب السودان/ القاهرة ١٩٧٨م ص١٧١.
(٣) عمر فروخ/ التبشير والإستعمار/ مرجع سابق ص٦٧.
(٤) إبراهيم عكاشة/ التبشير النصراني في جنوب السودان/ مرجع سابق ص١٧١.
(٥) إبراهيم عكاشة، المرجع نفسه ص١٧١.
(٦) عبد الرزاق ديار بكر لي، تنصير المسلمين، ص٢٥.

على وعي القوى الكنيسية لإيجاد نوع من عدم التوازن في المنطقة، لذا نجدهم خلف كل حركات التمرد والانقسام، يؤججون نارها ويدعمونها بكل ما تحتاجه من الدعم المعنوي والعيني. وما موقف مجلس الكنائس العالمي في حرب جنوب السودان بخافٍ على أحد. وكذلك موقف منظمة التأمين المسيحي بقيادة البارونة كوكس في الفترة الأخيرة. والدعم اللا محدود من الولايات المتحدة الأمريكية لحركة التمرد في جنوب السودان.

كل ذلك أدى إلى تأزيم الموقف وأدى إلى نزوح آلاف السودانيين الجنوبيين إلى الشمال أو إلى دول الجوار. فأصبح بذلك الجو مهيئاً والصيد سهلاً للمنصرين. لقد وصلت السودان أكثر من ثلاثين هيئة ومؤسسة ووكالة كنسية كلها تدعى العمل في مجال الإغاثة غطت أعمالها مساحات واسعة يقود هذه المنظمات شباب من الرجال والنساء، ألمان، نرويجيين، إيطاليين وغيرهم يقدمون الغذاء والكساء باسم الكنيسة[١] وتعد منظمات الإغاثة بمثابة الوفود الكنسية وبواسطتها تستطيع الوصول إلى مناطق وتنفذ غايات وأهداف التنصير بتقديم السم في الدسم كما يقولون.

للتنصير مجالات عديدة وأعمال في أفريقيا والسودان ولكن جاء ذكر الثلاثة هذه لأهميتها وأثرها.

ب- أهداف التعليم التنصيري في السودان:

من أهم المجالات التي اتخذتها الكنيسة للتنصير في العالم مجال التعليم. بعد أن ثبت لهم أنه أفضل الطرق لنشر النصرانية، لذا نجد أنه ما قامت إرسالية في منطقة إلا كان همها الأول أن تكون في المنطقة التي تحل بها هو إنشاء كنيسة ومدرسة. فنجد مثلاً الكنيسة الكاثوليكية بالخرطوم أسست في عام (منتصف القرن التاسع عشر) في العهد التركي مدرسة صغيرة وكان ذلك عام ١٨٤٨م جعلت هذه المدرسة لأبناء الجالية المسيحية بالخرطوم كما تم إنشاء

(١) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبا/ مرجع سابق ص١٨٦.

كنيسة وتم الحصول على قطعة أرض لإقامة مقبرة مسيحية[١].

والإرسالية الأمريكية قد بدأت نشاطها الحقيقي بشراء دار الكنيسة الإنجيلية الواقعة شرق مستشفى أم درمان الحكومي حيث بنيت أول مدرسة أولاد عام ١٩٠٧م[٢].

كما نجد أن الكنيسة اهتمت بعمل مدارس كثيرة في جنوب السودان سميت بمدارس الأحراش. وعند وصول القس ارشيد كون وزوجته إلى جنوب السودان سنة ١٩٠٧م لجأت الجمعية لاستخدام ١٤ مدرسة من مدارس الأحراش حول ياي لتقوم بمهمة الكنيسة.

هذا على سبيل المثال. لقد اهتم النصارى باستغلال التعليم بطريقة مكثفة في السودان خاصة المناطق المهمة في الشمال كالعاصمة القومية التي بلغ عدد المدارس فيها حوالي ٧٥ مدرسة. وشمال كردفان ١٧ مدرسة والجزيرة ١٥ مدرسة بينما توزعت باقي المدارس على الولايات الأخرى على حسب أهمية كل ولاية. هذا بالنسبة للمدارس الثابتة أما المدارس العشوائية في مناطق النازحين واللاجئين ومدارس الأحراش في جنوب السودان فهي كثيرة لا يستطيع أحد حصرها. فهي تنتشر بطريقة سرية خفية تحت مسميات مختلفة فنجدها في البيوت العادية ووسط الأحياء أو تحت الأشجار والمنازل المهجورة أو مبنية بناء عشوائياً.

لأن التعليم عند النصارى ما هو إلا وسيلة إلى غاية وهي تعليم الناس ليصبحوا مسيحيين وقد عبر عن ذلك المبشر (هنري هريس) كتب يقول (لنبتهل إلى سبيل تعميد نفوس أولئك الشباب الذين يترددون على الكليات) (إن التعليم في المدارس الإرسالية المسيحية إنما هو وسيلة لغاية فقط هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية. ولكن عندما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي

(١) حسن مكي/ أبعاد التبشير المسيحي في العاصمة القومية/ مرجع سابق ص٩.
(٢) المرجع نفسه ص١٨.

فإننا لا نتردد حينئذ من القول إن رسالة مثل هذه خرجت من المدى التبشيري المسيحي إلى المدى العلماني المحض[١].

إن سياسة الكنيسة بأنواعها المختلفة قامت على أساس الخطاب المباشر والتعليم وساعدها على ذلك الحكومات الإستعمارية التي قدمت مساهمات مادية في شكل مساعدات مالية أو قرارات سيادية ساعدت في تقوية نفوذ الكنيسة خاصة مناطق جنوب السودان وجبال النوبة.

لقد أصبح الغزو الفكري هو أسلوب النصارى في محاولة هزيمة المسلمين نفسياً وعقدياً وذلك بزرع أسباب الضعف والوهن والشتات فيما بينهم وذلك بعد أن فشلت المحاولات العسكرية. لهذا يعتبر التعليم هو أهم المجالات والوسائل التي يتم الوصول بها إلى أهدافهم ولذلك نال التعليم الاهتمام الكبير يقول أحد المبشرين: يجب أن نؤكد في جميع ميادين التبشير جانب الصغار والضعفاء.

بينما يبدو مثل هذا العمل كأنه تجربة. ترانا مقتنعين لأسباب مختلفة بأن نجعله عمدة علمنا في البلاد الإسلامية. وأن أثر المبشرين في الإسلام يبدأ باكراً جداً ومن أجل ذلك يجب أن نحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طباعهم أشكالها الإسلامية[٢].

المدارس التنصيرية هي حقيقة تمثل خنجر في جسد الأمة الإسلامية، لأنه بواسطتها يمكن إدخال الأنجيل إلى مناطق كثيرة لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل والمبشرون عن غير هذا الطريق[٣] ولعل أوضح الأمثلة أن الكنيسة استطاعت بواسطة التعليم أن تخترق قلب السودان والمتمثل في العاصمة القومية استطاعت بمساعدة الإستعمار وغفلة الحكومات الوطنية بعد الإستعمار أن تنشئ حوالي ٧٥ مدرسة ثابتة وإعداد غير محصورة من المدارس العشوائية بل استطاعت بما تقدمه من خدمة متميزة في مجال التعليم أن تخترق أهم طبقات

(١) مصطفى خالدي/ التبشير والإستعمار في البلاد العربية/ مرجع سابق ص٢١.
(٢) مصطفى خالدي/ التبشير والإستعمار في البلاد الإسلامية/ مرجع سابق ص٦٧.
(٣) المرجع نفسه ص٦٧ -٦٨.

المجتمع الشمالي المسلم وهي الطبقة الغنية والطبقة المتعلمة التي أصبح أبناءها الركيزة الأساسية لهذه المدارس كمدارس كمبوني في وسط الخرطوم وأم درمان والتي أصبح لها فروع في الولايات الأخرى كالبحر الأحمر في بورتسودان وفي جنوب السودان في كل من ملكال وجوبا وواو والمدارس الإنجيلية ومدرسة الاتحاد الثانوية العليا للبنات على أهم شارع في العاصمة شارع القصر وهي تتبع للكنيسة الأسقفية. وهذا على سبيل المثال.

وتقوم هذه المدارس حالياً بدور مزدوج فبينما تقدم خدماتها للطبقة العليا من المجتمع ضامنة بذلك تيسير أعمالها، تركز في نفس الوقت على أبناء الجنوبيين وأبناء النوبة وتمارس وسطهم نشاطاً تبشيرياً مركزاً إذ تمنحهم معاملة خاصة دون غيرهم من أبناء الشمال المسلمين أو غيرهم من أبناء النوبة المسلمين وأبناء الشمال المسلمين. وقد ساعد الاستقرار في هذه المدارس على تحسن مستواها بينما انحدر مستوى التعليم الحكومي العام بالبلاد. الأمر الذي جعلها قبلة تعليمية يلجأ إليها المسلمون السودانيون وذلك لأسباب الآتية[١]:

١- الاعتقاد بأنها أفضل بكثير من المدارس الحكومية من حيث النظام ومستوى الخدمات ومستوى التعليم.
٢- أنها تقبل التلاميذ في سن مبكرة.
٣- تقدم اللغة الإنجليزية في عمر مبكر بالمقارنة للمدارس الحكومية التي تبدأ تدريسها في فترة متأخرة.
٤- هرباً من مدارس الحكومة لزحمة الفصول فيها وتدني المستويات وانعدام الضبط والربط.
٥- تناسب نوع التدريس الذي يلقاه بعض الطلاب السودانيين الذين كانوا يدرسون مع ذويهم ولأسباب مختلفة.
٦- وجود نظام إرسال التقارير الدورية لأولياء الأمور عن سير وسلوك أبنائهم وبناتهم.

---

(١) حسن مكي، الأبعاد التبشير المسيحي في العاصمة القومية، ص٦٠ مرجع سابق

٧- بجانب التميز بين الناس والتفاخر في الطبقات العليا بأنها تدرس أبنائها في أفضل المدارس.

وإذا تتبعنا نشاط الكنيسة في السودان نجد أن لقيام المدارس الكنسية أهداف معينة تريد تحقيقها في كل منطقة حسب إستراتيجيتها فيها. ففي وسط السودان كان الهدف الأكبر هو السيطرة على مجالات التعليم ومن ثم التغلغل داخل الكيانات السكانية بالعاصمة لتحقيق أهدافها التبشيرية في الأحياء السكنية الراقية والشعبية والعشوائية. مع التركيز على المناطق الطرفية التي يسكنها النازحون من أبناء الجنوب والنوبة التي هربوا إليها من جحيم الحرب في مناطقهم وتستغل الكنيسة هذه الظروف لتقديم خدمات لهم وإرشادهم بإرشادات مسيحية وتعمل على تحويلهم من الإسلام كما يتم تحسين ظروفهم وأوضاعهم الاقتصادية حتى لا يذبوا في المجتمع الإسلامي إن كانوا غير مسلمين[١].

أما في مناطق الجنوب فجانب المدارس الثابتة في المدن المهمة. كانت هناك ما يسمى بمدارس الأحراش وهي مدارس كنسية تبنى من المواد المحلية أو تكون تحت الأشجار. وهي كانت الأداة الرئيسية الأساسية للتبشير الكاثوليكي والبروستاني، كان يدرس فيها الإنجيل وشيء من الحساب وتضم مدارس الأحراش تلاميذ من الجنسين[٢] يتم فيها تنصير الطلاب وتعميدهم ومن ثم يصبحون مؤهلين للتدريس في المدارس ذاتها. بعد فترة تدريبية لمدة ١٢ شهراً وقد بلغ عددها من ثلاثمائة مدرسة تمتد الدراسة فيها لمدة أربع سنوات.

أما في جبال النوبة فقد انفرد المبشرون بالسيطرة على التعليم في السابق حيث وجدوا الجو الملائم لهم والدعم الكبير من الحكومة الإستعمارية. والدعم الآن من المنظمات الكنسية العالمية والمحلية.

كل هذا الجهد المقصود منه هو وقف المد الإسلامي حيث يكون هناك حصن منيع لمقابلة هذا المد الإسلامي من الشمال. لهذا نجد أن الكنيسة وضعت

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٨.

(٢) المرجع نفسه ص٥٨.

لنفسها أسلوباً محدداً وبرامج معينة لتنفيذها في مدارسها الكنسية حتى يتم لها تنفيذ ما تريد من هذه الأساليب:

١- حظر أي مؤثرات عربية أو إسلامية خاصة في جنوب السودان والنوبة.

٢- محاربة اللغة العربية باستعمال اللغة الإنجليزية بدلاً عنها وقد امتد هذا الأسلوب إلى محاربة اللغة العربية من المدارس الكنسية إلى المدارس الحكومية حيث كانت جميع المواد تدرس في المرحلة الثانوية باللغة الإنجليزية ما عدا اللغة العربية والدين حتى نهاية الستينات من القرن السابق، بل زيدت حصص اللغة الإنجليزية وتم تخفيض حصص اللغة العربية والتربية الإسلامية.

٣- احتكار التعليم ليكون في يد المنصرين في مدارس الكنيسة لأنهم أرادوا أن يكون التعليم قاصراً على التبشير فقط من غير أن يطلعوا على سر ذلك أحداً. اشترطوا أن يكون المعلم في هذه المدارس أجنبياً غير وطني. أما إذا دعت الحاجة إلى معلم وطني فليكن مسيحياً من الدرجة الأولى.

لا تزال المدارس الكنسية على سياسة الاستغناء عن المدرس المسلم أما المدارس اليسوعية فلا يمكن أن يعمل فيها معلم مسلم[١].

إن أهداف هذه المدارس والكليات التي تشرف عليها الكنيسة والإرساليات في جميع البلاد، كانت دائماً تعتبر من الدرجة الأولى واسطة لتمرين القسس حتى أن الموضوعات العلمية التي تعلم من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين تحمل معها الآراء النصرانية[٢].

٤- محاربة الفكر والحضارة الإسلامية وطمس الهوية الإسلامية وقد كان الكاثوليك متحمسين لتدريس الطالب السوداني البسيط تاريخ الإمبراطورية الرومانية المقدسة مضفين القداسة على حروبها وتقاليدها وإنسانها(٣).

---

(١)

(٢) مصطفى الخالدي، التبشير والإستعمار في البلاد العربية، مرجع سابق ص٦٨

(٣) المرجع نفسه ص٦٧.

٥- إحياء التراث المحلي والقبلي ومزجه بالثقافة النصرانية بطريقة تؤثر عليه. من ذلك سياسة المناطق المقفولة التي قضت بعزل مناطق جبال النوبة والجنوب عن شمال السودان وحظر التعليم باللغة العربية والاعتماد على التعليم باللغات المحلية واللغة الإنجليزية. لكن حالياً تغيرت الأحوال.

٦- تعميق الشقة بين الشماليين والجنوبين تمهيداً لفصل الجنوب المسيحي كما يقولون عن الشمال المسلم.

ومن ذلك إلغاء مسئولية تخلف الجنوب على الشماليين وأنهم مسئولون عن ذلك وتذكير الجنوبيين بأن الشماليين اضطهدوا آباءهم وأجدادهم.

٧- دفع الطبقات العليا في المجتمع لتعليم أبناءهم إلى مدارس الكنيسة لاستفادة منهم كمورد مالي وسحب البساط من المدارس الإسلامية ومدارس الحكومة إضعاف روح الانتماء العربي والإسلامي والتقليل من شأن اللغة العربية والتربية الإسلامية ومن ثم إيجاد كوادر في المستقبل تتعاطف مع سياسة الكنيسة والفكر الغربي بصفة عامة.

ج- الأساليب التنصيرية في التعليم في السودان:

استطاعت الكنيسة أن تجد لها موطن قدم في أغلب مناطق السودان تحت حماية الدولة مما ساعدها على بناء منشآتها ورعايتها خاصة المدارس وقد تنوعت هذه المدارس حسب مناطق وجودها فكانت هناك ثلاثة أنواع من المدارس:

١- المدارس الثابتة وتكون في المدن والمناطق الحضرية.

٢- المدارس العشوائية وتكون في مناطق النزوح واللاجئين.

٣- مدارس الأحراش وهي في مناطق الأحراش في الجنوب.

وقد تركز جهد هذه المدارس بأنواعها على محاربة اللغة العربية والعادات الإسلامية، بجانب التركيز على اللغة الإنجليزية واللغات المحلية ونشر المسيحية لإيجاد كوادر تبشيرية وطنية لتعمل وسط النازحين وفي قيادة بعض الكنائس السودانية ولعل أسلوب محاربة اللغة العربية والعادات الإسلامية قد خف قليلاً في هذه الأيام نسبة للانصهار الذي أصبح لابد منه بعد أن نزح ملايين الجنوبيين إلى

الشمال واختلاطهم بالشماليين المسلمين. وأصبحت اللغة العربية هي لغة التخاطب بين القبائل المختلفة. وقد كان لتعريب الدراسة في المدارس الثانوية في أواخر الستينات وبداية السبعينات له الأثر الكبير في زيادة الاهتمام باللغة العربية وانزواء اللغة الإنجليزية على الرغم من أن بعض مدارس الكنيسة ما زالت تسعى لتقويتها وذلك بتدريس منهج خاص بها في الصفوف الدنيا في مرحلة الأساس كما في مدارس كمبوني على سبيل المثال التي تقوم بتدريس اكسفورد في الصفوف الثاني والثالث والرابع لكنها تلتزم بمنهج الدولة في الصفوف العليا. بجانب اضطرارها لتدريس باقي المواد باللغة العربية بعد أن ألزمتها وزارة التربية والتعليم بتدريس المنهج السوداني. وإذا رجعنا إلى التاريخ نجد أن السياسة الإستعمارية كانت مسرفة في محاربتها للغة العربية والمؤثرات الإسلامية خاصة في مناطق جنوب السودان وجبال النوبة ويعتبر (ماكمايكل) حاكم بحر الغزال أيام الإستعمار الثنائي هو الحاكم الذي كان أشد ضراوة في ذلك. فقد اتخذ سياسة تتمثل في الآتي:

١- تشجيع التجار المسيحيين من أغاريق وسوريين وتفضيلهم على الجلابة والتجار المسلمين الشماليين وقصر تجارة الجلابة على المدن والطرق المعروفة.

٢- بذل الجهد لجعل اللغة الإنجليزية لغة تخاطب.

٣- عكس مفهوم أن اللغة الإنجليزية أنها اللغة الرسمية وأنها لغة الحداثة وقد تمثل ذلك في خطابه للمفتشين الإنجليز في الجنوب السوداني قال فيه (تهدف الحكومة ما أمكن على تشجيع التجار المسيحيين من أغاريق وسوريين على الجلابة - التجار المسلمين - إن قصر تجارة الجلابة على المدن والطرق المطروقة أمر ضروري ويجب بذل كل جهد يجعل اللغة الإنجليزية لغة تخاطب، وباختصار فإنه وفي كل مكان أو ظرف علق في الأذهان أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية وأنها لغة الحداثة، فإنه يجب وبكل وسيلة على عكس هذا المفهوم في ممارسته، وأصدر قرارات لتوسيع سياسة قمع اللغة العربية يظهر فيها نفس الكنيسة وأنها اليد الخفية المحركة لذلك. حيث وجه بطريقة مباشرة بإبعاد كل المواطنين الشماليين من الولايات الجنوبية لتوسيع سياسة قمع اللغة العربية وتشجيع اللغات المحلية والقيم القبلية واللغة الإنجليزية ويجب القيام بكل

ما يمكن عمله مهماً كان ضئيلاً[١].

هذا المنهج ساعد على قيام سياسة المناطق المقفولة، التي وضعها الإستعمار بعد ذلك التي هللت لها الكنيسة بجميع طوائفها قد تركزت هذه السياسة على الناحية التعليمية بصفة خاصة وهذا ما يوضح مضي الكنيسة فيها لأنها هي المسيطرة على التعليم في هذه المناطق.

وتتمثل هذه السياسة في الآتي:

١- عزل تلك المناطق عن المؤثرات العربية والإسلامية وتطويرهم على نحو يتركز على معتقداتهم وثقافاتهم المحلية.

٢- حظر التعليم الشمالي السائد في الشمال وتبني التعليم المسيحي.

٣- إيكال مسئولية التعليم إلى الإرساليات المسيحية من مثال ذلك ما حدث في جبال النوبة حيث تم توقيع اتفاقية مع الفرع الأسترالي والنيوزلندي من إرسالية السودان المتحدة في سبتمبر ١٩١٩م ينص على:

أ - تقوم الإرساليات بفتح المدارس وتتولى إدارتها خاصة في المناطق الوثنية.

ب- توفر الإرساليات المعلمين.. الخ

ج- تقدم الحكومة معونات لهذه المدارس.

ولمحاربة اللغة العربية سعت الإرساليات في نشاط ملحوظ إلى إبعاد الناس عن اللغة العربية ومحاولة طمس ملامحها وإبدالها بأخرى لذا سعت إلى إيجاد بديلة تكون لغة تفاهم وتعليم بين الناس في هذه المناطق. فكانت أن طرحت فكرة تدريس المناهج باللغات المحلية في مدارسها. لكن هذه التجربة لم تنجح لعدة أسباب خاصة في جبال النوبة.

فقد قامت الحكومة بإنشاء مدارس (كتاب) في مناطق مختلفة وعجزت الكنيسة في توسيع رقعة نشاطها في عام ١٩٢١م[٢].

---

(١) حسن مكي، المشروع التنصيري في السودان، مرجع سابق ص٦٨.

(٢) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبة، مرجع سابق ص٦١.

واشترطت أن يدرس فيها التعليم الديني وكان أغلب تلاميذ هذه المدارس من النوبة والعرب والمستعربين بل كان أولياء أمور التلاميذ غير المسلمين ينظرون إلى التعليم الديني والقرآن بصفة خاصة أنه يحسن من اللغة العربية لأبنائهم. لذا نفذ هذا القرار. وفي محاولة لإنهاء هذه الظاهرة قررت الحكومة أن يكون لمدراء هذه المدارس السلطة في قبول أبناء المدن فقط أما من يأتون من الخارج عرباً كانوا أو نوبة يرفع أمرهم لمفتش التعليم بالمركز.

كما منع مفتشو المراكز من قبول أي تلميذ وثني في مدارس الكتاب. غير أن هذا الإجراء لم يتحقق ثم أغلقت الحكومة هذه المدارس عام ١٩٣١م[١].

كذلك فشل أسلوب إيجاد لغة بديلة محلية تناسب النوبة لأن ذلك أكثر تعقيداً. فقد كان واضحاً أن هناك عدة لغات نوباوية محلية لم تكن واحدة منها منتشرة للحد الذي يمكنها أن تتخذ لغة تعليم. وأمام هذا الفشل كان لابد من الرجوع للغة العربية وهو الذي لا تريده الكنيسة لعدة أسباب:

١- لأنها لغة الإسلام الحية.

٢- هي لغة الأدب العربي الملئ بالقصص الدينية والملاحم البطولية الإسلامية.

٣- يعلل بعض رجال الإدارة الإستعمارية بأن اللغة العربية والإسلام يطمسان الروح النوباوية ويذيبا الذاتية النبوباوية.

٤- إن كثير من المنصرين يرى أن تقطيع أوصال العرب المسلمين لا يمكن ما دام هناك لغة واحدة يتكلم بها العرب والمسلمون ويعبرون بها عن آرائهم[٢].

وأمام هذا التحدي الذي أوجدته اللغة العربية بعد أن أتضح لهم أن التدريس باللغة الإنجليزية لا يمكن أن تصبح أن تكون لغة تخاطب بين المجموعات النوباوية إلا بعد وقت طويل، ولأنها لن تكن مجدية للتخاطب بين المجموعات النوباوية والعربية لذا أصبح احتمال استعمال لغة نوباوية أو اللغة الإنجليزية في التعليم

(١) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبة، مرجع سابق ص٦٢.

(٢) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبة، مرجع سابق ص٧٤.

أصبح أمراً مرفوضاً. وأن التدريس باللغة العربية هو الأفضل لأنها لغة التخاطب بين القبائل العربية والنوباوية. وهذا ما كانت تخشاه الحكومة والإرساليات النصرانية. لذا صدر في عام ١٩٣١م قرار حكومي بتدريس اللغة العربية بحروف رومانية في المدارس الأولية. وتدريس بقية العلوم للتلاميذ بلغتهم المحلية. كانت الحكومة الإستعمارية تأمل أن تكون هذه اللغة منافساً قوياً للغة العربية وأن تصبح لغة التخاطب بين المجموعات النوباوية ورأت الحكومة أن لها أربع محاسن:

١- أنها توفر على التلاميذ صعوبة تعلم حروف كتابة مختلفة إذ كانت اللغات المحلية تكتب بحروف رومانية.

٢- يمكن للمبشرين أن يدرسوا ويشرفوا على تدريسها حتى إن لم تكن لهم معرفة باللغة العربية.

٣- سيعجب النوبا أن تكون لهم لغة خاصة بهم وسيحاولون الاحتفاظ بها كلغة مميزة عن لغة العرب يطورونها على أساليب محلية.

٤- ستكون لغة التخاطب بين المجموعات النوباوية والعربية ولن تكون أداة لانتشار الإسلام لأنها ستحول بين النوبا وسهولة الاتصال بالأدب العربي كما ستكون غير ذات فائدة للعربي الذي لا يعرف الإنجليزي[١].

غير أن هذه التجربة أثبتت فشلها في التعليم وأتضح أن هذه الطريقة غير مجدية وكتب عنها أحد علماء اللغويات تقريراً في عام ١٩٣٢م وضح فيه الصعوبات.

وفي جنوب السودان كان أسلوب محاربة اللغة العربية والعادات الإسلامية واضحاً في السياسة الإستعمارية.

كما ظهرت سياسيات ماكمايكل التي وردت سابقاً. مما أدى لانفراد المبشرين القساوسة بالسيطرة على التعليم والخدمات الاجتماعية هناك - بجانب ما توفره لهم الحكومة من مساعدات مادية وأثر ذلك كان واضحاً. وإن ونجت باشا حاكم السودان عندما زار (واو) كان ضمن برامجه الوقوف على وضع

(١) نور الدين عوض الكريم، التنصير في جبال النوبة، مرجع سابق، ص٦٥.

الدراسة المخصصة لأبناء جنود الحامية العسكرية ومعظمهم من المسلمين لذا كان مدير التعليم (جيمس كري) في ذلك الوقت قد رفع إعانتها لأنه لا يعرف شيئاً عن مقرراتها كما كان يخشى أن تكون أداة لنشر الثقافة العربية في الجنوب، وعندما زارها ونجت باشا أصيب بالدهشة حينما وجد طلابها بما فيهم أبناء سلاطين الدينكا يتخاطبون وعلى الفور دعا الكتيبة الكاثوليكية ممثلة في المطران لاستلام المدرسة وبمجيء عام ١٩٠٥م أفلح المطران في ذلك الزمان في بسط هيمنة الكنيسة على المدرسة وطلابها المسلمين تمويلاً وإدارة ومقررات وأصبحت المدرسة تقوم على الإنجيل والحروف اللاتيني ومحاربة الإسلام وثقافته[١].

أما في مدارس الأحراش فقد كانت اللغة المستخدمة في التدريس هي اللغة الإنجليزية التي تدرس بها كل المواد. وقد سعت الكنيسة بكل الطرق لمحاربة اللغة العربية والحرف العربي في الجنوب بحيث نجد أن الإنجيل قد ترجم إلى اللغات المحلية استعمل فيها الحرف اللاتيني. كانت الحكومة مسرفة في محاربة المؤثرات العربية والإسلامية مما يوضح يد الكنيسة في ذلك. حتى أن الكنيسة أثرت أن يظل الجنوبيين عرايا على اتخاذهم أزياء عربية، وتصوير الشماليين المسلمين أنهم مسئولين عن تخلف الجنوب واستنزاف موارده الاقتصادية والبشرية. كما صورت الشماليين أمام إخوانهم الجنوبيين بأنهم تجار رقيق تعميقاً للشقة بينهم وبين أهل الشمال. وذلك بزرع روح الحقد والضغينة في نفوس الجنوبيين. وكان المبشرون يدرسون تحت الأشجار ويذكرون للطلاب أن هذه الشجرة هي التي كان يباع تحتها آباءكم ويعذبون من قبل الشماليين، هذه السياسة أتت أُكلها مستقبلاً في شعور الجنوبيين بالنظرة الدونية لهم من الشمال مما ولد الإحساس عندهم بالظلم والغبن فكان نتيجة ذلك أن قامت حركة التمرد في سنة ١٩٥٦م وحركة جون قرنق التي كان من أهم أهدافها فصل الجنوب عن الشمال وبدعم واضح من مجلس الكنائس العالمي وبعض المنظمات ذات النفوذ كمنظمة التضامن المسيحي التي تقودها البارونة كوكس، وبعض منظمات الإغاثة الغربية.

---

(١) حسن مكي، التنصير في السودان، ص٤٨، مرجع سابق.

أما في شمال السودان فقد كان الدور الأكبر هو الذي تقوم به الإرساليات في إنشاء المدارس الثابتة ورعاية الكنيسة للمدارس العشوائية خاصة في المناطق الطرفية من العاصمة المثلثة، فمثلاً في منطقة شرق النيل وحدها بلغت المدارس الكنسية (٢١٨) مائتي وثمانية عشر مدرسة كنسية بها ١٤,٢٠٠ تلميذ ترف عليها ٤٨ كنيسة[١].

ومن الملاحظ أن المدارس العشوائية تنتشر داخل الأحياء في العاصمة القومية، بطريقة شبه سرية تقوم على رعاية هذه المدارس الكنائس الكبرى. وتكون غالبا في بيوت مؤجرة أو مشتراة كسكن، ويتم التركيز فيها على تدريس أطفال الجنوبيين ويشرف عليهم غالباً أستاذ جنوبي شاب أو شابة يتم فيها التركيز على تدريس الديانة المسيحية وبعض الأناشيد الدينية باللغة العربية. ويوجد في بعض هذه المدارس العشوائية شاشة صغيرة لسينما متجولة تقدم أفلام حول شخصية المسيح والأفكار المسيحية وتقدم بعض الأفلام الترفيهية[٢].

وتلعب مدارس كمبوني دوراً كبيراً في دعم هذه المدارس مادياً ويؤم هذه المدارس بعض طلاب المدارس السودانية لتقوية اللغة الإنجليزية في الأمسيات مما يوجد لها دخل ثابت بجانب اشتراكات رمزية للطلاب من الجنوب. وتعتبر هذه المدارس هي المورد الرئيسي لمدارس كمبوني بالطلاب في المراحل العليا. ونسبة لازدياد هذه المدارس وازدياد الطلاب اضطرت مدارس كمبوني إلى إنشاء مدارس في الأحياء الطرفية لاستيعاب هذا العدد المتزايد من الطلاب كمدرسة كمبوني الصناعية بحي السجانة ومدرسة كمبوني الصناعية بحي مايو ومدرسة المنشئة لأبناء الفقراء من الخفراء والعمال، ومدرسة الجريف غرب وغيرها.

لذا تعتبر مدارس كمبوني من أهم وأخطر المدارس التي تقوم بتقديم خدمة كبيرة للتنصير في شمال السودان ولذلك لابد من الوقوف عندها لمعرفة تاريخها.

---

(١) سعيد دميلاوي، مقال في صحيفة ألوان العدد ١٧٧٦ بعنوان (يا أغنياء الأمة الإسلامية هذا ما يحدث في السودان) ص٥ السبت ٥ مايو ٢٠٠١م.

(٢) حسن مكي، أبعاد التبشير في العاصمة القومية، مرجع سابق، ص٤٤.

أسس هذه المدارس المطران (دانيال كمبوني) الذي ركز كل جهده للتنصير في أفريقيا والسودان وبار نشاطه الذي بلغ مداه في الخرطوم والأبيض والدلنج وجنوب السودان، وقد أسس بعض المؤسسات التنصيرية منها (جمعية راهبات السودان) وتوفى في السودان عام ١٨٨١م[١].

ومن بعده أسست مدارس عدة باسمه شملت بورتسودان وكوستي والمدن الكبرى في جنوب السودان، ومدارس كمبوني هذه تعتبر من المدارس النموذجية من حيث التأثيث والإمكانات نتيجة الدعم الذي يأتيها من المنظمات الكنسية الخارجية وما يدفعه الطلاب خاصة المسلمين الذين تفرض عليهم رسوماً باهظة وتبدأ المراحل الدراسية فيها من مرحلة الروضة أو ما يسمونه ZERO المناهج التي تدرس فيها مناهج وزارة التربية والتعليم السودانية إلى جانب منهج أكسفورد للغة الإنجليزية وهو يدرس في المرحلة الدنيا من مرحلة الأساس. مما يجعل تلاميذ هذه المدرسة أكثر تمييزاً في اللغة الإنجليزية ولهذه المدارس اهتمام بالنشاط الرياضي، أما النشاط الثقافي فلهم صحف حائطية وتوزع كذلك جريدتا (الإسلام والرسول) وعلى بقية المدارس الكنسية التابعة كمبوني[٢].

التعليم الكنسي سواءً كان في جنوب السودان أو شماله كان مركزاً على أبناء الجنوب وجبال النوبة بصفة خاصة وكان له آثار سالبة عليهم يمكن تلخيصها في ما يلي:

١- أن المواطن الجنوبي أو في جبال النوبة وجد نفسه ضحية عزلة عن مجتمعات الشمال وإحاطته بثقافة غربية وغريبة عنه وحرمته التكامل مع إخوانه في الشمال.

٢- إن هذا الجهد لم يبذل من أجله، وإنما كان الهدف تعزيز وضع الكنيسة فلم تبذل أية مجهود لوضع خطة تعليمية ومنهج موحد بين الجنوبيين أنفسهم مما أدى إلى تضعضع الحركة التعليمية وإعداد معلمين أكثر تمزقاً في خبراتهم

---

(١) نور الدين عوض الكريم، مرجع سابق، ص٥٥.

(٢) مصطفى الخالدي، التبشير والإستعمار في البلاد الإسلامية، مرجع سابق، ص٦٧.

التعليمية ومعتقداتهم في مجتمعهم القبلي فأصبحت شخصية الدينكاوي الكاثوليكي المتعلم وسط الكاثوليك مخالفة لشخصية ابن قريته المتعلم في مدارس الإنجليكان.

٣- التربية الثقافية الجديدة قطعت الصلة بين المعلم وبيئته مما أدى إلى انفصام الفكر بين الصفوة الجنوبية فلم تجد ما تتوحد عليه غير العداء للشمال.

٤- لقد طغى على المنهج الخطاب التنصيري ولم يعد للتعليم صلة بالبيئة.

٥- أدى التعليم الإرسالي الكنسي إلى تخريج سنوياً أعداد لا تصلح إلا للعمل التبشيري وليس لها ولاء لمجتمعها ولا لقبيلتها ولا حتى كنيستها.

كان الهدف من التخريج من مدارس الكنيسة التخلق بأخلاق الأوروبيين وحياتهم وتقليدهم وحينما اكتشفوا أن التعليم الكنسي وإمكانيات البيئة المحدودة لا تمكنهم من طرق حياة الأوروبيين اتجه بعضهم للثورة والإلحاد ونهب كل ما تقع عليه أيديهم.

٦- لقد أدت أحقاد المبشرين على أهل السودان ومحاربة اللغة العربية أن وجدت طبقة من الجنوبيين تعتبر نفسها مبخوسة قدر التعليم وذلك في ظروف ما بعد الاستقلال، حيث ارتفع بالناس مقاييس تعليمهم وكفاءتهم وليس ثقافتهم الكنسية وهكذا وجدت الصفوة الجنوبية أن قدرها أن تكون احتياطي بشري وفكري لأي خروج على الدولة[١].

٧- أما في الشمال فقد أوجدت السياسة التعليمية الكنيسية جيلاً من الشباب مولعاً بالغرب واتجاهاته ومتقلداً بهم. خاصة أبناء الطبقات العليا في المجتمع التي تخرجت في المدارس الكنسية.

٨- استطاعت الكنيسة بأساليبها الماكرة التغلغل في أوساط المجتمعات المسلمة في الأحياء ولكنها فشلت فشلاً زريعاً في تنصير أبناء المسلمين رغم أنها تقدم أنواعاً كثيرة من المغريات مما أوجد بين المسلمين والكنيسة حالة من الترغيب والحذر.

---

(١) حسن مكي، المشروع التنصيري في السودان، مرجع سابق ص٥٨-٦٠.

٩- إغفال المسلمين بما يقومون من دعم الكنيسة ساعدها في تنفيذ برامجها في سهولة ويسر بأموال المسلمين الواردة من مؤسساتها التعليمية والصحية التي استغلتها للتنصير في المناطق المستهدفة.

هذه الدراسة على السودان كواحد من دول العالم الثالث التي كانت ولا تزال مسرحاً للتنصير وهي دراسة على سبيل المثال يمكن أن يقاس عليها.